إتجاهات نقد الكتاب المقدس عند علماء مقارنة الأديان المسلمين

١ ــ إتجاه نقد السند

دكتور
بكر زكي عوض

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد • الذى تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يزيغ عنها الا هالك •

وبعد

فلقد شرفت بتدوين المقال الأول فى مجلة الكلية الصادرة سنة (١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م) العدد الثالث وكان موضوعه « علم مقارنة الأديان بين المؤيدين والمعارضين » وقد انتهيت من البحث بقولى : وبهذا نرى أن هذا العلم بحاجة الى التعريف به وتعميم تدريسه لأنه يمكن دارسه من مواجهة المبشرين فى الداخل والخارج ــ ومن لا يتذأب تأكله الذئاب ــ وقد قيل : بضدها تتميز الأشياء ، أما عن منهج البحث والاستنباط وكيفية التطبيق فهو فى بحث آخر ان شاء الله •

وقد شاء الله أن يكون هذا البحث « اتجاهات نقد الكتاب المقدس عند علماء مقارنة الأديان المسلمين » لأنه يمثل عصب البحث فى مناقشة عقائد أهل الكتاب خاصة أن من يسر الله له أسباب الوقوف على هذه الاتجاهات يسرت له أسباب المناقشة بعد فأقول وبالله التوفيق .

تقوم العقائد والديانات على أمور أساسية منها :

١ — داعى يدعو الى العقيدة أو الديانة يخلفه دعاة بعد ذلك يدعون الى ما دعا اليه .

٢ — دعوة تتضح من خلال القول أو السلوك الذى يقوم به الداعى دون ذلك أو لم يدون .

٣ — نسبة الدعوة الى سلطة عليا هى سر الوجود لهذه الحياة .

وما أن تلقى الدعوة قبولا ورواجا الا وتبذل الجهود لنشر هذه العقيدة ولا يتوقف الاتباع عن البلاغ الا اذا كانوا عنصريين لا يرون لغيرهم أحقية الاعتقاد بجنس ما دانوا به كما هو شأن اليهود .

ولا يتوقف الأمر عند حد الدعوة والتبشير بها . بل ان أهل كل دعوة يزعمون أن دينهم الحق . باذلين كل جهد ممكن لاقامة الدليل على صحة ما يعتقدون . وان تعسر عليهم ذلك وفى سبيل ذلك قد يلوون نصا أو يحرفونه عن موضعه أو يأولونه على وفق هواهم أو ما شابه ذلك .

ومع محاولة اقامة الدليل على صحة المعتقد وسلامة النسبة فان التشكيك فى عقائد الآخرين لم يسلم منه عصر أو مصر . ويقوم الصراع الفكرى — العقدى — دون توقف أو انقطاع ويأخذ ذروته اذا ما تقدمت الثقافة ونما الوعى وزادت الدراسات وقويت ووقع التلاحم بالسيف . أو ما شاكل ذلك .

وقد يسهل على أهل عقيدة ما اقامة الدليل على صحة ما يدعون لسلامة الدعوى ويسر الدليل وتتابع الشواهد وشهادة المنصفين من الأعداء

والزام طبيعة الدعوة لكل معاند بصحتها حيث انها بعد العرض على العقل لا يمكن ردها . كما أن كافة أدلتها تخدم ذويها . وقد توافر هذا لأهل الاسلام دون سواهم . وقد بدأ الصراع الفكرى العقدى بين أهل الكتاب والمسلمين منذ السنوات الأولى للدعوة الاسلامية .

فاليهود يوعزون بأسئلة الى أهل قريش يتحدون بها محمدا ﷺ والوحى رواح غداء بالاجابة (ضمن ما ينزل به الوحى) وأوضح الأدلة على هذا ما أجمعت عليه كتب السيرة من أن اليهود طلبوا من قريش أن تسأل الرسول ﷺ عن فتية مضوا فى القرن الأول . وعن رجل طاف المشرق والمغرب وعن الروح مع أن قريشا تعلم أن محمدا ﷺ ليس لديه علم بالقراءة والكتابة ولم يتخلف يوما لدى حبر أو كاهن يطلب منه علما ولا صلة له بأساطير الأولين . ومع ذلك أتى الوحى بالاجابة بعد أن فتر عن الرسول مدة من الزمن فرح بها المشركون غاية الفرح قائلين : ان شيطان محمد قد تخلى عن محمد . نقرأ فى ذلك الآيات من رقم ١٣ الى ٢٤ ومن ٨٣ الى ٩٨ من سورة الكهف والآية ٨٥ من سورة الاسراء .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل انهم داوموا على طلب الاجابة عن أسئلة ذكروها . لقريش . كقولهم الى ما ينزع الولد . وما هو أول طعام أهل الجنة .. الخ .

وبهجرة الرسول ﷺ بدأ التشكيك فى معنى بعض أى القرآن الكريم ذكر المفسرون أن قوله تعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم (الحديد ١١) قال اليهود : ان الله فقير حتى استقرضنا . فنزل قوله تعالى **(لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق)** آل عمران ١٨١ .

ولم يتوقف الصراع العقدى عند حد اليهود . بل ان النصارى قد لعبوا دورا بالغا فى التشكيك فى أمر الدعوة وفى التثبت منها وفى الجدل مع شخص الداعى الأول .

وأوضح الأمثلة على ذلك الوفود المتتابعة التى كانت تأتى لتناقش الرسول ﷺ فى أمر دعوته • فيقع الحوار ويشتد الجدل فى أمر المسيح وطبيعة دعوته• ذكر كتاب السيرة ذلك واضحا فى أمر وفد نصارى نجران وقدوم الجارود فى وفد عبد القيس وقدوم عدى بن حاتم وكان نصرانيا فأسلم بعد أن دار بينه وبين الرسول ﷺ حوار طويل (ابن هشام ١٦٦ – ١٦٩ / ٤) وغير ذلك من الوفود التى دان بعضها بالاسلام وقد بدأ الصراع الفكرى العقدى – المحدود – بعد ملاقاة النبى ﷺ لربه فى البلاد التى دخلها الاسلام فى القرون الأولى للدعوة • ذكر المفسرون وكتاب السير أن بعض النصارى قد زعم أن « من » فى قول الله تعالى : **« اذ قالت الملائكة يا مريم أن الله يبشرك بكلمة منه »** آل عمران ٤٠ وقوله تعالى **« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه)** النساء ١٧١

مراد بهـا التبعيض • وأن عيسى جـزء من الله بمعنى أنه ابنه ، وبهـذا احتج طبيب نصرانى للرشـيد على على بن حسـين الواقدى المروزى ذات يوم • فقال له فى كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا ما سبق • فقرأ له الواقدى قوله تعالى (وسـخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه) الجاثية ١٢ • وقال يلزم أن تكون جميع هذه الأشياء أجزاء منه تبارك وتعالى فأقتنع النصرانى وأسلم • ففرح الرشيد باسلامه ووصل الواقدى بصلة فاخرة • تفسير المنـار ٦ / ٨٣ ، ٨٤ •

وبدخـول الاسـلام للاندلس – فاتحا – نمت حركة الطعن فى العقيدتين – طعن من المسلمين فى عقيدة النصارى وطعن من النصارى فى عقيدة المسلمين – حيث بذل كل منهم ما أمكنه من جهد ممكن له محاولا اقامة الدليل على نقد عقيدة الآخر معتمدا فى ذلك نقد الكتاب الذى يعتمد عليه أهل العقيدة المخالفة فى اقامة الدليل على صحة ما يعتقدون وحاجة البشر أجمعين الى هذا الكتاب وكذلك الطعن فى رواة هذا الكتاب (نقـد

السند) وقد اعتمد النصارى على جانب آخر ليس للمسلمين فيه نصيب وهو تجريح شخص الداعى الأول – محمد ﷺ – وليس للمسلمين فى هذا الجانب نصيب لأنهم يؤمنون بعيسى كعبد لله ورسول إيمانهم بمحمد ﷺ (آمن الرسـول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنـون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) البقرة آية ٢٨٥ وقبل بيان اتجاهات نقد المسلمين للكتاب المقدس ينبغى التعريف به • لأن اتجاهات النقد لا يمكن الوقوف عليها والاحاطة بها الا بعد ذكر وصف لمحتوى الكتاب المقدس فيما هو مسلم لدى الأكثرية حيث أن الذكر يمكن من بيان اتجاهـات النقد بعد • ويمكن البيان على النحو التالى :

أولا : الكتاب المقدس اصطلاح صار علما بالغلبة على جملة مـا أوحى به الى موسى عليه السلام فمن تبعه حتى رؤيا يوحنا اللاهوتى – كما يزعم النصـارى –

واذا كانت هذه التسمية مقبول نصفها الأول بيسر وسهولة لأن كل مكتوب يسمى لغة كتابا الا أن النصف الثانى من التركيب (مقدس) لا يقبل عقلا ولا شرعا لأن القدس معناه الطهر • والمقدس أى المطهر• والنص الموجود الآن لم يسـلم من الكذب أو التحـريف والتزييف والبهتان فكيف يطلق عليه (مقدس) فضلا عن ان التسميات الخاصة بالكتب السماوية لا تخضع لفكر بشر أو اجتهاده وانما تخضع لتسمية المنزل لها • فقبول المسلمين لهذه التسمية وترديدهم لها إنما هو من باب المجاراة للخصوم دون التسليم بصحة التسمية أو صلاحيتها خاصـة أن القرآن الكريم قد سماها بما يغنى عن تسمية هؤلاء لها •

ويشمل الكتاب المقدس عهدين :

الأول : العهد القديم : وقد قسم محتواه الى مجموعة أسـفار كل منها يسمى باسم متعارف عليه الآن وبيان هذه الأسفار كما يلى :

١ — الأسفار الناموسية أو أسفار موسى • وهى التوراة — كما يزعمون — وعددها خمسة أسفار وترتيبها كما يلى : التكوين — الخروج — اللاويين — العدد — التثنية • والرموز المختصة بها هى على الترتيب (تك — خر — لا عد — تث) •

٢ — الأسفار التاريخية وعددها اثنا عشر وترتيبها كما يلى : سفر يشوع — القضاة — راعوث — صموئيل الأول — صموئيل الثانى — الملوك الأول — الملوك الثانى — أخبار الايام الأول — أخبار الأيام الثانى — عزرا — نحميا — أستير •

ورموزها حسب الترتيب الوارد هى : يش — قض — را — ١ صم ٢ صم — ١ مل — ٢ مل — ١ أى — ٢ أى — عز — نح — أس •

٣ — الأسفار الشعرية وعددها خمسة وترتيبها كما يلى : سفر أيوب — مزامير داود — أمثال سليمان — سفر الجامعة — نشيد الإنشاد • ورموزها على الترتيب : هى — أى — مز — أم — جا — نش •

٤ — أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر وهى على الترتيب التالى : أشعيا — أرميا — مراثى أرميا — حزقيال — دانيال — هوشع — يوئيل — عاموس — عوبديا — يونان — ميخا — ناحوم — حبقوق — صفنيا — حجى — زكريا — ملاخى ورموزها حسب الترتيب هى : أش — أر — مرا — حز — دا — هو — يوء — عا — عو — يون — مى — نا — حب — صف — حج — زك — مل •

ويلاحظ أن هذا الترتيب هو من وضع مدونى العهد القديم لا أساس له من النصوص الواردة • وذكر هذا الحصر سوف يفيد عند بيان اتجاه نقد المتن ان شاء الله •

الثانى : العهد الجديد : ويطلق على الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل ورسائلهم ورؤيا يوحنا الانجيلى • كما أنه اطلاق أعم من كلمة إنجيل لانها ان أطلقت لا يراد منها سوى الأناجيل الأربعة • ويحتوى العهد الجديد على ما يلى :

١ — الأناجيل الأربعة وترتيبها حسب رسم الكتاب (متى — مرقس — لوقا — يوحنا ، ورموزها هى : مت — مر — لو — يو •

٢ — أعمال الرسل حيث دون المسيحيون ذلك على أنه من جملة التشريع وهى تحتوى على ثمانية وعشرين اصحاحا ورموزها : (أع) •

٣ — رسائل الرسل وهى على النحو التالى : الرسالة الى الرومانيين — الرسالة الأولى الى الكورنثيين — الرسالة الثانية الى الكورنثيين — الرسالة الى الغلاطيين — الرسالة الى الافسيين — الرسالة الى الفيليبيين — الرسالة الى الكولوسيين — الرسالة الأولى الى التسالونيكيين — الرسالة الثانية الى التسالونيكيين الرسالة الأولى الى تيموثاوس — الرسالة الى تيطس — الى فليمون الرسالة الى العبرانيين — رسالة يعقوب — رسالة بطرس الثانية — رسالة يوحنا الأولى — رسالة يوحنا الثانية — رسالة يوحنا الثالثة — رسالة يهوذا •

٤ — رؤيا يوحنا اللاهوتى :

ويرمز الى هذه الاسفار بالرموز التالية حسب الترتيب : (رو — ١ كو — ٢ كو — غل — أف — فى — كو — اتس — ٢ تس — ١ تى — ٢ تى — تى — فل — عب — يع — ١ بط — ٢ بط — ١ يو — ٢ يو — ٣ يو — يه — رؤ —

وقد اعتمد المسلمون فى نقدهم للكتاب المقدس على ما وجههم اليه القرآن الكريم وان لم أر أحدا من علماء المسلمين قد ذكر أن

اتجاهات نقد الكتاب المقدس أساسها وارد فى القرآن الكريم والتى تتضح من خلال الآيات الآتية :

قال تعالى فى كتابه الكريم :

« أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » البقرة : ٧٥

« ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وان هم إلا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » . البقـرة : ٧٨ ـ ٧٩ .

« الذين ءاتيناهم الكتـاب يعرفونه كما يعـرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » البقـرة : ١٤٦ .

« يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » آل عمـران : ٧١ .

« وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » آل عمران : ٧١ .

« وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشـترون » آل عـمران : ١٨٧ .

« من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سـمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا وأسمع وأنظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا » النساء : ٤٦ .

« فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم وأصفح ان الله يحب المحسـنين » . المـائدة : ١٣ .

« يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههـم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سـماعون الكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخـذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » المائدة : ٤١ .

وجملة الآيات المذكورة يفهم منها أمور :

الأمر الأول : وثيق الصلة بالذين كتبوا التوراة والانجيل ونقلوها خلفا عن سلف وقد وصفتهم الآيات الكريمة بأنهم :

أ ـ يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه .

ب ـ يلوون ألسنتهم بالكتاب ليحسب المنطـوق به على أنه من الكتـاب .

حـ ـ كتب بعضهم أشياء من قبل نفسه ثم نسبها الى الله لتقع من الناس موقـع القبـول .

د ـ ستروا بعض الحق الذى معهم حتى لا تلزمهم الحجة ويقام عليهم الحد ـ بدون مقابل ـ .

هـ ـ ستر بعضهم بعض ما أوحى اليهم به واشتروا به ثمنـا قليـلا .

و ـ تصرفوا بالزيادة والنقصان قبل الكتابة والتدوين .

ن ـ تصرفوا بالزيادة والنقصان بعد الكتابة والتدوين . باسقاط الصفات والبشائر المتعلقة برسول الله محمد ﷺ .

الأمر الثانى : وثيق الصلة بالمكتوب حيث وصف فى الآيات بأنه

أ ـ حرف بعد الاستيعاب (ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ..)

ب ـ وقع فيه تداخل **(يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب)**

حـ ـ وضعت أسفار عدة من قبل البشر ثم أضيفت الى العهد القديم (يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا .. ..) .

د ـ حركة التمويه والخلط من الأوصاف اللازمة (لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق ..) .

هـ ـ ستر بعضه ولم يفصح عنه (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) المائدة : ١٥ .

الأمر الثالث : وثيق الصلة بالأتباع ـ من غير رجال الاسناد ـ حيث صرحت الآيات الكريمة بأنهم :

أ ـ أميون لا يعلمون الكتاب . وهذا يمكن الخاصة من التبديل والتغيير والتعديل على وفق ما تراءى لهم فى ضوء غيبة الرقابة .

ب ـ آمنوا بما رأوا أنفسهم فى حاجة اليه وكفروا بغيره (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ..) ..

وبذلك نرى أن القرآن الكريم قد طعن فى سند الكتاب الذى يؤمن **أهل الكتاب بقدسيته وان** كانت الاشارات ضمنية الا أنها نبهت المسلمين الأول الى موضوع السند وفقدان أهله شرط التواتر والعدل. كما أنها نبهت الى ما أصاب المتن من زيادة ونقصان واضطراب . وبذلك كان للقرآن الكريم فضل السبق فى ارساء أسس هذا العلم قبل الحركة الحديثة التى ظهرت فى القرن الثامن عشر الميلادى .

وقد تأثر علماء مقارنة الأديان بهذا الاتجاه الوارد فى القرآن الكريم . **وأوضح الأدلة على ذلك** . أن كل من كتب فى علم مقارنة الأديان أو فى علم تاريخ الأديان لم يخل كتابه من الحديث عن هذين الأتجاهين وان تفاوت كل كاتب فى القبض والبسط بحسب ظروف الزمان والمكان والثقافة وأوضح الأدلة على ذلك ما يلى :

١ ـ **الامام الشهرستانى فى** كتابه « الملل النحل » قد تناول قضية السند . فتكلم عن مؤسسى الفرق والخلاف بينهم وأشار ضمنا الى السند **وذلك فى** حديثه عن أهل الكتاب فى الباب الثانى من الجزء الثانى .

٢ ـ الامام ابن حزم فى كتابه « الفصل فى الملل والنحل » فى النصف الأخير من الباب الأول والنصف الأول من الباب الثانى . قد ناقش قضية السند فى بعض الجوانب المتعلقة بهذا الأمر وأقام الدليل على انقطاع الاسناد .

٣ ـ الامام القرطبى فى كتابه « الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام » فى الفصل الثالث من الباب الثالث ذكر مبحثين .

الأول عنوانه : فصل فى بيان بعض مما طرأ فى التوراة من الخلل وأنها لم تنقل نقلا متواترا فتسلم لأجله من الخطأ والزلل .

الثانى عنوانه : فصل فى بيان أن الأنجيل ليس بمتواتر وبيان بعض ما وقع فيه من الخلل .

٤ — **الأمام القرافى** فى كتابه الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة . أشار الى رواة الأناجيل الأربعة (متى — مرقس — لوقا — يوحنا) وأشار الى انجيل آخر أغفله النصارى وهو المسمى بانجيل الصبوة . كما تحدث عن شرط التواتر وأقام الدليل على فقدانه عند أهل الكتاب .

٥ — أبى عبيدة الخزرجى فى كتابه «الفاصل بين الحق والباطل» أو « مقامع هامات الصلبان » وهو الكتاب لذى حققه الدكتور شامة وأسماه « بين الاسلام والمسيحية » تناول السند أيضا تناولا عرضيا .

٦ — الامام ابن تيمية فى كتابه : « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » تناول هذا الجانب .

٧ — الامام المسعودى فى كتابه « تخجيل من حرف الانجيل » فى مطلع الكتاب حيث تكلم عن السند وذكر الجهالة فى رجال الاسناد .

٨ — العلامة عبد الرحمن الباجه جه زاده فى كتابه « الفارق بين المخلوق والخالق » فى الفصل الأول من المقدمة تناول الاسناد عند أهل الكتاب ونقده ونقضه .

٩ — الامام رحمة الله الهندى فى كتابه « اظهار الحق » تناول بالتفصيل الاسناد المتعلق بالعهد القديم والعهد الجديد وناقش نسبة كل سفر الى من نسب اليه وشكك فى النسبة بأدلة يطمئن اليها القلب بعيدا عن العاطفة وهو كتاب فريد فى هذا الميدان .

الفرق بين منهج القرآن الكريم ومنهج علماء مقارنة الأديان

نسلم يقينا أن اسلوب القرآن يفوق اسلوب البشر لأنه تنزيل من حكيم حميد . والحكمة قد تجلت حين التعبير . فلم نجد آية واحدة فى القرآن قد صرحت بالطعن فى شخص فلان من كتاب العهد القديم أو الجديد — بأن ذكرت اسمه وموطنه ومن روى عنه الخ — وانما أعطت دلائل قطعية عامة يقف عليها الناظر ليستفيد منها فى سيره حين البحث والتنقيب ولذلك فان علماء مقارنة الاديان — من المسلمين خاصة — قد اهتموا بوضع أصول تتعلق بالسند حتى يكون الكتاب مقبولا . فان لم تتوافر هذه الشروط بالكلية أو سقط بعضها فان المتن يرد فى هذه الحالة . وهذه الشروط هى : —

الشرط الأول :

أن يوحى بالنص الى نبى أو رسول .

الشرط الثانى :

أن يكتب هذا النص بين يدى النبى أو أتباعه حال حياته وأن يقرهم على ما كتبوا .

الشرط الثالث :

أن ينقل هذا المكتوب على ألسنة جمع لا يمكن تواطأهم على الكذب

الشرط الرابع :

أن يظل الاستواء فى التواتر قائم بحيث ينطبق على الأطراف والواسطة .

الشرط الخامس :

العلم بحال هؤلاء الناقلين ومدى التزامهم بأمانة النقل .

الشرط السادس :

أن يعلم زمن الكتابة بالنسبة للمكتوب على سبيل القطع لا التخمين

الشرط السابع :

العلم بمصدر النص ولغته الأصلية وزمن الترجمة والمترجم ومدى امكانية الترجمة .

وامكانية المطابقة الآن بين النص المترجم عنه والمترجم اليه . فاذا ما أردنا تطبيق هذه الشروط على سند العهد القديم وعدنا الى كتب النصارى قبل كتب المسلمين نطلب منها ذلك . تعذر علينا اقامة الدليل على مطابقة هذه الشروط لسند الكتاب المقدس وبيان ذلك كما يلى .

بالنسبة للشرط الأول :

عدم امكان اثبات هذا النص الى نبى من أنبياء بنى اسرائيل لأن تطبيق باقى الشروط غير مستطاع . نعم قد نجد نصا يتفق من حيث المعنى مع آية من آى القرآن الكريم ومع ذلك لا يرفض بالكلية ولا يسلم قبوله — كوحى — لأن النص وان اتفق معناه لكنه قد يفقد جمال التعبير الموحى به . كما أن نسبته غير مستطاعة على سبيل القطع فقد يضاف النص الى موسى عليه السلام . وهو بقايا حق مما أوحى الى إبراهيم أو غيره من الأنبياء السابقين . فيكون تحميلا للوحى ما لا يحتمل حيال نبى ما وخاصة ان كتاب الكتاب المقدس أثرت ثقافتهم عليهم حين الكتابة أكثر مما أثر الوحى .

بالنسبة للشرط الثانى :

وهو الكتابة بين يدى الرسول أو الاملاء على كتبة يكتبون بين يديه . فان القطع بذلك غير مستطاع بالنسبة للعهد القديم . وان كان البعض

قد ذكر أن موسى عليه السلام قد كتب التوراة وتركها مع يشوع ابن نون بحسب النص الوارد فى الخروج (فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكارا فى الكتاب وضعه فى مسمع يشوع) خروج ١٧ / ١٤ الا أن التوراة قد صرحت فى نصوص عدة أن موسى عليه السلام قد كتب التوراة على حافة مذبح مكون من اثنى عشر حجرا فمجموع ما كتبه لا يتجاوز عدة صفحات ومع ذلك فان تتابع النقل غير مسلم وقد وقع تداخل فى التأليف . يقول مؤلفوا قاموس الكتاب المقدس (ويبلغ عدد الكتاب الملهمين الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعين كاتبا وهم من جميع طبقات البشر بينهم الراعى والصياد وجابى الضرائب والقائد والنبى والسياسى والملك .. الخ واستغرقت مدة كتابتهم ألفا وستمائة سنة . وكان جميع هؤلاء الكتاب من الأمة اليهودية وفى الكتاب المقدس جميع أنواع الكتابة من شعر ونثر وتاريخ وقصص وحكم وأدب وتعليم وانذار وفلسفة وأمثال .. (قاموس الكتاب المقدس ٧٦٤) .

ورد فى قصة الحضارة (هذه الأسفار الخمسة لا يدرى أحد على التحديد كيف كتبت ولا متى ولا أين كتبت . ثم يقول ول ديورانت . هذا السؤال كتب فيه خمسون ألف مجلد ولم يفرغ منه . يقول العلامة رحمة الله الهندى (لا يقدر أحد أن يدعى بالنسبة لبعض الآيات وبعض الاصحاحات أنها من كلام موسى . بل بعض الآيات تدل دلالة بينه على أن مؤلف هذا الكتاب لا يمكن أن يكون داود عليه السلام . بل يكون اما معاصرا له أو بعده .... وعلماء المسيحية يقولون بالظن ورجما بالغيب انها من ملحقات نبى من الأنبياء وهذا القول مردود . لأنه مجرد ادعاء منهم بلا برهان . لأنه لم يكتب نبى من الأنبياء فى كتابه أنى الحقت الآية الفلانية فى الاصحاح الفلانى من السفر الفلانى . ولا كتب أن غيرى من الأنبياء ألحقها . ولم يثبت ذلك الأمر بدليل آخر قطعى أيضا ... ومجرد الظن لا يغنى فما لم يقم دليل قوى على الالحاق تكون هذه الآيات والاصحاحات أدلة كاملة على أن كتاب موسى هذا ليس من تصنيفاته عليه السلام (اظهار الحق ٨٦) .

وقد دافع مؤلف كتاب (الكتاب المقدس فى الميزان) عن هـذا الشرط وأعلن أن الأنبياء هم الذين كتبوا هذه الكتب • الا أنه جعلهم أداة استخدمها الله حين الكتابة فكتبت ما أراد مع تقصيرها ومعصيتها الذى تجلى أثره البشرى حين التدوين (ان هذه القطع الكتابية المشار اليها آنفا تعنى عند الدراسة المدققة أن الله عندما أعلن كلمته استخدم الوسيلة البشرية لقد كان الرجال الذين استخدمهم الله رجالا قد يسين عرفوا الههم وأحبوه • وليس معنى هذا أنهم لم يخطئوا • لقد كانوا خطاة وبعضهم أخطأ على نحو رهيب • فداود مثلا ارتكب من الخطايا ما لا يكاد يغفر ولكنه مع ذلك كان واحدا ممن كلمهم الروح •••• لقد كان كتاب الكتاب المقدس خطاة كغيرهم ••• ولكنهم مع ذلك رغـم خطاياهم كانوا ممن أحبوا الله واستخدمهم الله فى انشاء كتابه (الكتاب المقدس فى الميزان • ص ٧٩) •

ثم طرح هذا السؤال • كيف يضبط الله هؤلاء الكتاب ليكتب الواحد منهم بالروح ما يريد الله أن يكتب ؟

وعندما تعذرت عليه الاجابة ذكر قوله (قد لا يكون من حكمة الله أن يكشف بالتمام عن الطريق التى يوصل بها الكلمة الى خدامه ويجعلها فى أفواههم وكيف يحملهم حتى تكتب بالصورة المنضبطة التى يريدهـا لها • وهناك لا شك الكثير من الأسرار الالهية غير المعلنة والتى يصمت فيها الكتاب عن الافصاح عن الطريق التى يحفظ بها كلمته ويصونها من كل خطأ • واذا كانت هناك عقائد كثيرة محاطة بالأسرار وليس من السهل أدراك كنهها وسبرغورها فان العقيـدة الخاصـة بالوحى لن تختلف عن ذلك وعلينا أن ندرك أننا بشر محدود الذهن والمعرفة (المرجع السـابق ٨١ ــ ٨٢) •

وعن العهد الجديد • فان علماء النصارى يسبقون علماء المسلمين فى التسليم بأن النص الذى أوحى به الى عيسى عليه السلام لم يكتب حال حياته أو بعد خروجه من هذه الدنيـا الى حيث أراد الله وانما

وقعت محاولات من أشخاص كثيرين حاول كل منهم ان يكتب كتابا مسميا اياه باسم الكتاب الذى أوحى به الى عيسى ليقع من الناس موقع **القبـول** •

بالنسـبة للشرط الثالث :

(النقل على ألسنة جمع لا يمكن توطأهم على الكذب) نقـول ان القرآن الكريم قد صرح بأنهم ــ أى كتبة التوراة والانجيل ــ قد تصرفوا فيها بالزيادة والنقصان والقبض والبسط ولى اللسان بغيـة الوصـول الى ما يريدون من كسب مـادى أو معنوى بـل أن بعض النصوص الموجودة الآن فى العهد القديم والجديد قد صرحت بأن كتاب الكتاب المقدس كذبة ومحرفون أيضا • ومن هذه النصوص •

أ ــ فى سفر آرميا ورد (واذا سألك هذا الشعب أو نبى أو كاهن قائلا ما وحى الرب فقل لهم أى وحى انى أرفضكم • هو قول الرب • فالنبى أو الكاهن أو الشعب الذى يقول وحى الرب أعاقب ذلك الرجل وبيته • هكذا تقولون الرجل لصاحبه الرجل لأخيه بماذا أجاب الرب وماذا تكلم به الرب وأما وحى الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمـة كل انسان تكون وحيه • اذ قد حرفتم كلام الاله الحى رب الجنود الهنا • (آرميـا صح ٢٣ / ٣٣ : ٣٦) •

ب ــ هكذا قال رب الجنـود لا تسمعوا لكلام الأنبيـاء الذين يتنبأون لكم • فانهم يجعلونكم باطلا • يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب ••• (آرميـا ٢٣ / ١٦) •

ج ــ لذلك هانذا على الأنبياء يقول الرب الذين يسرقون كلمتى بعضهم من بعض ها أنذا على الأنبياء يقول الرب الذين يأخذون لسانهم ويقولون قال ها أنذا على الأنبياء الذين يتنبأون بأحلام كاذبة يقول

الرب الذين يأخذون لسانهم ويقولون قال هاأنذا على الأنبياء الذين يتنبأون بأحلام كاذبة يقول الرب الذين يقصونها ويضلون شعبى بأكاذيبهم ومفاخراتهم وأنا لم أرسلهم ولا أمرتهم فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب (آرميا ٢٣ / ٣٠ — ٣٢) .

وعن اشتغال بعض الدعاة من بنى اسرائيل بالضلالة دون الهداية ورد .

لا يرتد غضب الرب حتى يجرى ويقيم مقاصد قلبه فى آخر الأيام تفهمون فهما لم أرسل الأنبياء بل هم جروا . لم أتكلم معهم بل هم تنبأوا . ولو وقفوا فى مجلسى لأخبروا شعبى بكلامى وردوهم عن طريقتهم الردىء وعن شر أعمالهم (آرميا ٢٣ / ٢٠ — ٢٢) وعن فقدانهم العدالة ورد فيما ينسب الى المسيح — أنه عير الكتبة والفريسيين بذلك . فقد ورد .

أ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون صلواتكم لذلك تأخذون دينونة أعظم . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا .... ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تعشرون النعنع والشبت والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والايمان .... أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل ..

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون لانكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة . وهكذا أنتم أيضا من خارج تظهرون للناس أبرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثما . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤن لانكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركنا فى دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم انكم

أبناء قتلة الأنبياء . فأملأوا أنتم مكيال آبائكم . أيها الحيات أولاد الآفاعى . كيف تهربون من دينونه جهنم .... (متى ٢٣ / ١٤ : ٣٦) مختصرا .

وقد ورد فى انجيل مرقس أن الفريسيين والكتبة قد سألوا المسيح قائلين له . لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقاليد الشيوخ بل يأكلون خبزا بأيد غير مغسولة فأجاب وقال حسنا تنبأ أشعيا عنكم أنتم المرائين كما هو مكتوب .... لانكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقاليد الناس .... ثم قال لهم حسنا رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم لأن موسى قال أكرم أباك وأمك ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا . وأما أنتم فتقولون ان قال انسان لأبيه وأمه قربان أى هدية هو الذى تنتفع به منى . فلا تدعونه فيما بعد يفعل شيئا لأبيه وأمه . مبطلين كلام الله بتقليدكم الذى سلمتموه . وأمورا كثيرة مثل هذا تفعلون .... (مرقس ٧ / ٥ : ١٣) .

وعن غلوهم فى الدين واتباعهم أهواء قوم قد ضلوا . ورد فى متى أن التلاميذ قد تقدموا الى المسيح وقالوا له (أتعلم أن الفريسيين لما سمعوا القول نفروا . فأجاب وقال كل غرس لم يغرسه أبى السماوى يقلع . اتركوهم عميان قادة عميان واذا كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما فى حفرة (متى ١٥ / ١٣ : ١٤) .

وقد ورد غير ذلك كثير فى الكتاب المقدس . مما يدل دلالة قاطعة على أن ناقلى هذه النصوص قد فقدوا شرط العدالة .

بالنسبة للشرط الرابع :

(بقاء التواتر فى كافة مراحل النقل) فان اقامة الدليل عليه غير مستطاع . وليس أدل على هذا من أن الكتاب الأولين للعهدين غير معروفين . ومراحل النقل فى الأزمنة الأولى غاية فى الجهالة . ولايشفع للزمن الأول التواتر فى الآونة الحاضرة . يقول الامام القرافى . ثم

انهم مع هذا الأصل الواهى الذى لا يوثق بشىء منه ليس على وجه الأرض منهم بشر يروى التوراة عدلا عن عدل . بل هى تلفيقات مجهولات وتواريخ موضوعات . بحيث ان التواريخ الاسلامية خير منها . وأضح بكثير لقرب عهد زمانها . فان بعد الزمان المفرط يقتضى عدم الوثوق أكثر . مع أن المسلمين لا يجيزون الاعتماد على التواريخ فى شىء من الاحكام ألبته وهم يجعلون هذه التواريخ والتلفيقات عمدة لمعادهم وشريعة لخالقهم .. (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة صفحة ٢٤٢ ـ ٢٤٣) .

كما أن التلقى الشفوى لا وجود له فى كثير من الأزمنة . بل أن اليهود قد فقدوا العهد القديم ـ كسفر مجموع بالكلية ـ فترة من الزمن حتى القرن الرابع قبل الميلاد . ترتب على ذلك فقدان كثير من أسفاره التى ورد اسمها فى التوراة الموجودة الآن دون أن يكون لها وجود فى الواقع المشاهد . وسوف يتضح ذلك عند بيان نقد المتن ـ ان شاء الله ـ ذكرت دائرة المعارف الأمريكية الادوار التى مرت بكتابة العهد القديم فقالت : وتعتبر فترة الاسفاريين الأولى من عام ٥٠٠ ق . م الى عام ١٠٠٠ بعد الميلاد حيث اكتمل بناء النص العبرى القانونى لأسفار العهد القديم . ويرجح أن يكون هذا العمل قد قامت به مدرسة الشيخ المعمر (اكيبا) المتوفى عام ١٣٥ م .

ثم تأتى فترة الاسفاريين الثانية وهى تبدأ من عام ١٠٠ الى عام ٥٠٠ م . وكان عملهم مختصا بصحيف النص . وبعد ذلك جاءت طائفة المازورتين ـ أى النقليين ـ الذين ينقلون من السلف الى الخلف وقد امتد عملهم من سنة ٥٠٠ م حتى اختراع الطباعة وقد عمل هؤلاء النقليون على مد النص بما ينقصه من علامات الترقيم والوقف والتشكيل كما صنفوا كثيرا من الحواشى والتفاسير وبعض الاحصائيات وذلك بغية جعل النص مفهوما للقراء .... ولقد ازدهرت مدارس طائفة النقليين لفترة حوالى أربعة قرون وأخيرا كانت الغلبة للنص الذى صنعته مدرسة طبرية بفلسطين مما ساير المدارس .

وفى القرن العاشر الميلادى كان يوجد فى طبرية عائلتان من النقليين هما عائلة ابن أشير وعائلة ابن نفتالى . وأخيرا تغلب النص الذى صنعته عائلة ابن أشير واعتمدت قانونيته وخاصة من جماعة ابن ميمون فى القرن الثانى عشر الميلادى (فلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ٢٥) .

ومن خلال هذا النص نرى أن مدارس عدة قد اشتغلت بجمع النص وضبطه وأن خلافا وقع بين المجموع حتى كان الترجيح لما ذهبت اليه احدى المدارس ولو كان أصل النص الموحى به موجود ما وقع خلاف على وجه الاطلاق فى المحتوى وان جاز فى الضبط اللغوى .

بالنسبة للشرط الخامس :

(العلم بحال هؤلاء الناقلين) فان الذين كتبوا أسفار العهد القديم غير معروفين من حيث التسمية أو زمن الميلاد . وشراح العهد القديم قد تكلفوا فى مطلع كل سفر حين تفسيره فيذكرون قولهم (الراجح أنه كتب سنة كذا وكاتبه فلان . وقيل بل سنة كذا وكاتبه فلان ... الخ) أنظر الصفحة الأولى من أجزاء السنن القويم فى تفسير العهد القديم أما كتاب العهد الجديد . فان النصارى أنفسهم يسلمون بعدم وجود معرفة تامة عن حال كتبة الأناجيل . ننقل عن قاموس الكتاب المقدس . وصدر الأجزاء الأولى من الكنز الجليل ما كتبه المسيحيون فى تراجم هؤلاء .

(أ) «متى» قيل أنه يهودى من الجليل واسمه لاوى بن حلفى (مرقس ٢ / ١٤) اشتغل بجمع الجباية ودعاه المسيح وهو يمارس وظيفته ..

غير أن النقاد ينكرون نسبة الانجيل الى متى كما يروى (ول ديورانت) ويرون أنه من تأليف أحد أتباعه . وقد نسبه الى متى الحوارى ليقع من الناس موقع الاطمئنان والقبول . ولو سلمنا جدلا بأن متى هذا من الحواريين . فان عدالتهم ـ بحسب نص الانجيل ساقطة ـ وان كنا ننزهم عن ذلك لأن القرآن الكريم قد أثنى على

الحواريين كما هو وارد فى سورة آل عمران ٥٢ ـ المائدة ١١١ ـ الصف ١٤ ـ ورد فى متى (حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون فى هذه الليلة لأنه مكتوب أن أضرب الراعى فتتبدد خراف الرعية) متى ٢٦ / ٣١ .

والشك فى النبى كما نؤمن أو الاله ـ كما يزعمون ـ مسقط للعدالة لأنه يترتب عليه الكفر .

(ب) « مرقس » له فى العهد الجديد اسمان (مرقس) وهو اسم لاتينى و (يوحنا) وهو اسم يهودى كما ورد فى لوقا : ثم جاء وهو منتبه الى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس (أع ١٢ / ١٢) .

لم يذكر اسمه بين تلاميذ المسيح فى كل المدة التى كان المسيح فيها على الأرض . وظن البعض أنه واحد من السبعين الذين أرسلهم المسيح للتبشير . والذى حملهم على ذلك الظن تدقيقه . فى ذكر الحوادث كشاهد عيان .

وقد اختلفوا فى نسبة هذا الانجيل اليه أيضا . فقيل ان بطرس كتبه رواية عن (مرقس) مع أن بطرس هو رئيس الحواريين . فكيف ينقل عن شخص لم ير المسيح .

وبعضهم يشك فى نسبة الباب الأخير اليه . كذلك اختلفوا فى مولد وصناعة مرقس فقيل أنه أنطاكى ولد بأنطاكية . وقيل أنه رومانى ولد بايطاليا ... الخ .

(جـ) « لوقا » هو من السبعين بشر بانجيله بالاسكندرية . قال بعضهم انه لم يكن يهوديا أصيلا بل ممن هادوا من الامم وسموا دخلاء لأن بولس عندما ذكر أصحابه فى رومية الذين من الختان أصلا . والذين ليسوا من الختان كذلك لم يذكر لوقا مع الأولين بل مع الآخرين (١١ ، ١٤) ولم يكن شاهد عين بما ذكره فى انجيله ولا خادما للانجيل من أول انتشاره بدليل ما جاء فى كلامه .... ولم يعلم متى تنصر ولا على يدمن تنصر .

(د) « يوحنا » . هو ابن زبدى وسالومى (متى ٤/٢١ مرقس ١ / ١٩) ومصدر علمه الرؤيا والسماع كما ورد فى انجيله (١ / ١٤ ، ١٣ / ٢ ، ١٨ / ١٥ ، ١٩ / ٢٦) .

« وينكر المحققون نسبة هذا الانجيل ليوحنا الحوارى ويرون أن كاتبه رجل اخر يتفق مع الحوارى فى الاسم فقط . ويدعم هذا الرأى أن علماء المسيحيه فى القرن الثانى الميلادى انكروا نسبة هذا الانجيل الى يوحنا الحوارى . وسمع ذلك الانكار « أرينتوس » تلميذ « بوليكارب » الذى هو تلميذ يوحنا الحوارى فلم يرد عليهم بأنه سمع صحة نسبة هذا الانجيل الى الحوارى من « بوليكارب » .

ومن المستبعد أن « أرينتوس » لم يسمع ذلك من « بوليكارب » وهو الذى روى عنه اشياء اقل اهمية من ذلك بكثير .

وليس صحيحا أنه نسى ذلك لأنه كان مشهورا بقوة الحافظة . فقد روى عنه أنه كان يقول : سمعت هذه الاقوال بفضل الله بالامعان التام وكتبتها فى صدرى لا على الورق .

كتب استادلين : أن كاتب انجيل يوحنا طالب من طلبة الاسكندرية بلا ريب . وقال المحقق « برطشنيدر » أن هذا الانجيل كله وكذلك رسائل « يوحنا » ليست من تصنيفه بل صنفها واحد فى ابتداء القرن الثانى الميلادى .

جاء فى دائرة المعارف البريطانية « أما انجيل يوحنا فانه لامرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض . هما القديسان (يوحنا) و (متى) وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاقتها وجزمت بأن الكاتب هو « يوحنا » الحوارى ووضعت اسمه على الكتاب نصا مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا . ولا يخرج

هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت اليه • وانا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفى — الذى ألف هذا الكتاب فى القرن الثانى — بالحوارى ، يوحنا الصياد الجليلى • فان أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى (بين الاسلام والمسيحية ص ٨٠ ، ٨١) •

بالنسبة للشرط السادس :

(أن يعلم الزمن الأول للكتابة على سبيل القطع لا التخمين) نقول ان العلم بذلك غير مستطاع • فموسى عليه السلام ينسب اليه انه قد كتب شيئا ما على حافة المذبح ودون بعض مما أوحى اليه به ثم ترك تراثا قد سلمه ليوشع الذى حمل بنى اسرائيل على فتح فلسطين والأردن • وقد مر الاسرائيليون بمحن أفقدتهم ما ورثوه عن موسى عليه السلام • كما أنهم خضعوا لكثير من الاضطهاد والسلب والسبى جعلهم يمزقون شر ممزق • مما أفقدهم القدرة فى المحافظة على الجانب الروحانى • لدرجة أنهم حين تدوين التراث الباقى لديهم ركزوا على الجانب المادى دون أن يكون للروحانيات نصيب وبقيت قلة قليلة تولد لديها شوق لتدوين ذلك التراث حتى يتمكنوا من جمع شتات الأمة فى ظله حتى كان القرن الرابع ق • م فدونت ، بعض الاسفار فى نصوص هى مزيج من الآداب والعواطف والأشعار والحكم والأمثال والشذوذ الجنسى والخيال والنزعة العنصرية والتفسير الخاطى لمفهوم الثواب والعقاب وغير ذلك كثير • وعن زمن تدوين العهد الجديد فان شراح الأناجيل قد ذكروا ما يلى :

أ — بالنسبة لأنجيل متى ورد (وزمان كتابة البشارة غير معروف بالتحقيق ويرجح أنها كتبت سنة ٦٠ م أو ٦٦ م وبما أنه لا يذكر فيها خراب أو رشليم سنة ٦٦ م وهى سنة سبعين على الحساب المشهور فقد استنتج الناس أنه كتب قبل وقوع تلك الحادثة •

وذهب بعض القدماء الى أنه كتب فى السنة الثانية بعد الصعود وآخرون الى أنه كتب فى السنة الخامسة عشر •

وفى كتاب بين الاسلام والمسيحية ورد (واختلفوا فى تاريخ تدوينه فقيل سنة ٣٧ — ٣٨ — ٤١ — ٤٣ — ٤٨ — ٦١ — ٦٣ — ٦٤ من الميلاد •

ب — بالنسبة لأنجيل مرقس • ورد فى الكنز الجليل فى تفسير الأنجيل (لا واسطة لتحقيق زمن كتابه هذا الأنجيل — لكن نعلم أنه كتب قبل خراب أو رشليم • اذ لا اشارة فيه الى أنها كانت قد أخربت • والأرجح أنه كتب بين سنة ٦٣ ب • م • وسنة ٦٨ ولا دليل على مكان كتابته • وظن بعضهم أنه كتب فى أنطاكية • وظن غيرهم أنه كتب فى الاسكندرية أو فى بابل المصرية •

وهناك آراء أخرى تروى أن التدوين تم سنة ٥٦ — ٦٠ — ٦٣ — ٦٥ •

ج — بالنسبة لأنجيل لوقا : الراجح أنه كتب هذه البشارة قبل خراب أو رشليم ، لأن الاصحاح الحادى والعشرين منها • كتب نبوءة بخراب أو رشليم لا تاريخ أمر قضى والنتيجة أن هذه البشارة كتبت بين سنة ٥٨ م ، ٦٠ •

وشك بعض العلماء فى نسبة بعض الأبواب اليه فيقول « وارد كاتلك » صرح « جيروم » فى مكتوبة أن بعض القدماء كانوا يشكون فى بعض الآيات من الباب الثانى والعشرين من انجيل لوقا • وبعض القدماء كانوا يشكون فى البابين الأولين من هذا الانجيل وما كان هذان البابان فى نسخة فرقة « مارسيونى » •

د — بالنسبة لانجيل يوحنا • ورد فى الكنز الجليل • الراجح أنه كتب فى مدينة أفسس فى المدة الأخيرة من حياته أى بين سنة ٨٠ ، ٩٠

ب . م . أو ليس بأقل من عشرين سنة بعد كتابة البشائر . ولعله كتب بعدهم بثلاثين سنة . والدليل على أنه كتب بشارته بعد خراب أو رشليم . وأنه لم يذكر شيئا من انباء المسيح بذلك الخراب كما ذكر غيره من البشيرين .

وبذلك نرى أنه بقدر يسر اقامة الدليل من كتب النصارى على فقدان معرفة زمن التدوين بقدر عثر اقامة الدليل منهم على تحديد الزمن . خاصة أنهم يعتبرون الأحداث هى معيار التقدير الزمنى . وبذلك يخرج النص الموحى به عن خصوصية كونه عن وحى الى كونه نص تاريخى يدون الأحداث ويتأثر بوقائع الزمان التى قد تترى بعد وفاة النبى الذى ينسب اليه السفر المدون أو الانجيل المزعوم .

بالنسبة للشرط السابع :

وهو المتعلق ب أ ــ العلم بمصدر النص ب ــ لغته الأصلية ج ــ زمن الترجمة د ــ المترجم هـ ــ مدى امكانية الترجمة و ــ امكانية المطابقة الآن بين النص المترجم عنه والنص المترجم اليه حتى لا يكون للهوى سلطان على عقل المترجم . نقول ان نظرة بسيطة الى هذه الشروط ومدى امكانية تطبيقها على الكتاب المقدس تظهر الآتى :

أولا ــ العهد القديم :

يذكر بعض الشراح أن اللغة الأصلية للعهد القديم (خاصة أسفار موسى الخمسة) هى المصرية القديمة . لأن موسى عليه السلام ولد فيها ونشأ بين أهلها ونطق بلغتها ثم أوحى اليه بعد بلوغه الأشد (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) ، سورة ابراهيم آية ٤ . وخاصة أن تاريخ موسى عليه السلام لم يشر الى استخدام مترجم بينه وبين فرعون حين دعوته . كما أن الاسرائيليين قد مضت عليهم مدة من الزمان جعلتهم يكتسبون لغة المصريين دون الاحتفاظ بلغتهم .

ومع خروج موسى ببنى اسرائيل توقفت حركته عند حد سيناء دون أن يدخل الأرض المقدسة هو ومن تبعه نظرا لجبن هؤلاء الأتباع (واذ قال موسى لقومه يا قوم أذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين . يا قوم أدخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما أدخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فأذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون . قال ربى انى لا أملك الا نفسى وأخى فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين) سورة المائدة ٢٠ ــ ٢٦ .

ومن قال انها اللغة العبرية أو العبرانية قد وهم . لأن النسبة اما أن تكون الى عبور البحر الأحمر أو عبور نهر الأردن أو امتداد للغة الخليل ابراهيم عليه السلام . وكل ذلك يمكن رده لأن أهل سيناء كانوا يتكلمون المصرية (وان تفاوتت اللهجة) واللغة العبرية لم يكن لها وجود قبل عبور نهر الأردن . ولم تتكون الابعد الاقامة فى فلسطين . والاختلاط مع سكانها الكنعانيين . وعلماء اللغات يرون اللغة العبرية خليطا من العربية والكنعانية والمصرية . وكل ذلك لم يتم الا بعد وفاة موسى عليه السلام ومن رد اللغة الى الخليل ابراهيم واحتفاظ بنى اسرائيل بعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم مئات السنين لا يسعفه الدليل على ذلك لأنهم كانوا قلة بين سكان مصر وما تسمعه الاذن يحكيه اللسان .

ومع أن المؤرخين وعلماء مقارنة الأديان قد ركزوا على أسفار موسى عليه السلام الا أنهم قد تناسوا أن بعض الأنبياء لم يقيم بمصر وتفاوتت لغته مع لغة موسى عليه السلام . ومع ذلك دونت

ثانيـا العهد الجـديد :

بالنسبة لهذا الشرط ذكر شراح الأناجيل ما يلى :

أ ـ انجيل متى • قيل ان اللغة التى كتب بها الانجيل أصلا هى اليونانية • ومنها جاءت الترجمة العربية وسائر الترجمات المعروفة • لكن لنا أدلة كثيرة على وجود نسخة عبرانية قديمة فقدت منذ عهد طويل • ولا مانع أن هذا البشـير قد كتب بشـارته فى لغتين فثبوت النسـخة العبرانية لا يناقض قانونية النسخة اليونانية التى عندنا • وكثيرا ما يبرز متى شواهد من نبوات العهد القديم • ولا يعلم هل هذا الانجيل هو الأول باعتبار زمن تاليفه أم لا ؟ الا أنه يستحق الوضع فى صـدر العهد الجديد • لكونه الحلقة الموصلة بين العهد القديم والجديد ••••

ب ـ انجيل مرقس • رجح البعض أنه كتب باللغـة اليونانية • وعن مصدر علمه بما كتب ورد أنه لم يعلم حق العلم من أين أخذ مرقس أنباء بشارته لأنه ليس برسول ولم يذكر اسمه بين تلاميذ المسيح فى المـدة التى كـان المسيح فيها على الأرض •••• ورجـح المؤرخـون المسيحيون الأول على أن مرقس كتب بشارته بارشاد بطرس الرسول ويوافق ذلك أنه كان رفيق بطرس يوم كتب رسالته الأولى فى بابل ••• ومن المعلوم أن بطرس كان رفيق بولس زمانا فلابد من أنه سمع كلامه فى المسيح ومواعظه وعلى ذلك كان مرقس متعلما من رسول اليهود بطرس ومن رسول الأمم بولس • والأرجح أن انجيل مرقس مختصر تعاليم بطرس فى تبشيره ومواعظه •

جـ ـ انجيل لوقا : ـ مصادره • كانت هناك مؤلفات كثيرة فى سيرة المسيح كانت ناقصة غير موثوق بها وأنه استفرغ المجهود فى الوقوف على حقيقة الأمر وكمال الحوادث وهذا يدلنا على أنه لم يقف على بشـارتى متى ومرقس • والا كان أدخل فى بشـارته الحوادث التى ذكراها • لأن ذلك وفق قصده الذى أعلنه • ولا يمكنه أن يكون كتب

عن يوحنا • لأن يوحنا كتب بعده • ولم يدع أنه شاهد عين بما أنبأ به من الحوادث لكنه ذكر أنه بحث عن ذلك ممن كانوا شهود عين • وقد كتب انجيله هذا باليونانية •

٤ ـ انجيل يوحنا • مختلف فى السنة التى كتب فيها وفى اللغة الأولى وفى الذين ترجموا هذا الأنجيل •

ونخلص من هذا الى جهالة المصدر واللغة الأصلية وزمن الترجمة والمترجـم •

أما عن مدى امكانية الترجمة فان ذلك غير مقبول ـ من وجهـة نظرى ـ للاسـباب الآتيـة •

السبب الأول :

ـ أن الاعجاز اللغوى ـ وان كان ضمن خصـائص الاعجـاز القرآنى ـ الا أن العقل يسلم بوروده فى كافة الرسالات التى أوحى بها الى الأنبياء السابقين لمـا يلى :

أ ـ جمال التعبير من الأمـور المتعارف عليها بين أهل كل لغـة ولا يعقل أن تكون لغة السابقين (الموحى بها) أقل قدرا من لغة البشر بل لابد من تفوقهـا •

ب ـ أن المعبر عن الشخص ـ حسبما يريد ـ هو نفسه والغير وان بالغ فانه لن يصيب الحقيقـة على سبيل الحصر بل لابـد من التفاوت • وكذلك النص الموحى به وانه بذلت الجهود للتعبير عنه الا أن اصـابة ذات المراد غير مستطاعة •

جـ ـ أن ذات النص الموحى به ينبغى أن يترك كى تذهب النفس فيه كل مذهب • فالنص الواحد يعرض على عقول عدة فتتفاوت تفاوتا بينا بين فهمه • وترجمته حرفيـا حين ارادة التعبير عنه بغير لغتـه قد لا تصيب الحقيقة •

د — أن الثقافة والأهواء والأحداث كثيرا ما تلعب دورا بالغا فى الترجمة وليس أدل على هذا من أن الذين ترجموا معانى آيات القرآن الكريم — من غير المسلمين — قد عمدوا قصدا الى التصرف القليل فى بعض آى القرآن تصرفا ترتب عليه تغيير المعنى .

السبب الثانى :

أن هذه النصوص لم تكتب بين يدى أنبيائها فكيف يحمل الأنبياء عبء اضافات تاريخية أو أدبية أو غرامية (سفر نشيد الانشاد) على أثر ترجمة ما .

السبب الثالث :

أن اقامة الدليل على صحة الترجمة يفتقر الى دليل يدل عليه . خاصة أن امكانية المطابقة غير ميسورة الآن .

وبهذا نرى أن سند الكتاب المقدس هو أوهن من خيط العنكبوت وقد ترتب على ذلك وقوع أحداث وقصص وورود روايات لا يقبلها عقل . لذلك اشتغل العلماء بالاتجاه الثانى من النقد والمعروف باسم (نقد المتن) ويمكن تقسيم نقد المتن الى قسمين :

أ — القسم الأول : نقد يعرض على المسلمين خاصة .

ب — القسم الثانى : نقد يعرض على المسلمين وعلى غير المسلمين .

أ — ونقد المتن الذى يعرض على المسلمين خاصة ، يتأتى بالبحث عن الأشياء التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم دون أن نجد لها أصلا — من حيث اللفظ أو المعنى — فى العهد القديم أو الجديد — وان تكلف البعض فى لى بعض النصوص أو تأويلها أو القيام بحساب الجمل بغية المطابقة وهذه الاتجاهات بالكلية مردودة ونتائجها غير قطعية كما أن الآخرين قد حملوها على ما أرادوا حين التفسير أيضا . ولذلك كان التسليم بسقوط ذلك — بقصد أو بدون قصد — هو خير الأمور التى تطمئن اليها النفس ويمكن ذكر بعض الأمثلة لبيان هذا الاتجاه .

١ — قال تعالى « **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والأنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ٠٠٠٠** » الأعراف ١٥٧ .

٢ — قال تعالى « **أم لم ينبأ بما فى صحف موسى . وابراهيم الذى وفى . ألا تزروازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن الى ربك المنتهى**» سورة النجم الآيات ٣٦ : ٤٢ .

٣ — قال تعالى (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الأنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فأستغلظ فأستوى على سوقه ٠٠٠**) سورة الفتح ٢٩ .

(٤) قال تعالى (قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى . بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى . ان هذا لفى الصحف الأولى . صحف ابراهيم وموسى » سورة الأعلى ١٤ — ١٩ .

(٥) سئل عمرو بن العاص عن بعض صفات رسول الله ﷺ فى التوراة فقال والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفاته فى القرآن « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا صخاب فى الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفوا ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غافا بأن يقولوا لا اله الا الله .

ونخلص من هذا الى أن القرآن قد صرح بذكر أشياء فى التوراة والأنجيل كبشارة عيسى بنبى الله محمد ﷺ . وكذلك السنة المطهرة قد

أشارت الى أشياء اذا ما بحثنا عنها ذلك تعذر علينا تمام التعذر وجود ذلك بنصه أو معناه الا بتعسف لا يقبل .

(ب) أما عن نقد المتن الذى يعرض على المسلمين وغيرهم فان بيانه التفصيلى غير مستطاع فى هذا البحث وسوف نبسطه فى بحث آخر ان كان فى العمر بقية — ان شاء الله — وان كانت أصوله تدور حول الآتى :

١ — تعارض نصوص العهد القديم بعضه مع بعض علما بأن النسخ عندهم غير جائز وتعدد المتن المكتوب وتنوعه وتغايره مع أن الموحى به واحد (بالنسبة للتوراة أو الأنجيل) وايمان بعض الفرق بأن ما لديها من متن هو الحق ونكرانها لما لدى الأخرى من متن كما نرى فى التوراة السامرية والتوراة البابلية . وكذلك تعدد الأناجيل وتنوعها وتغايرها وتفاوتها ووجود زيادة ونقصان بين بعضها من حيث الأحداث والوقائع والرؤى ... الخ .

٢ — التراجم المتعددة الموجودة للكتاب المقدس بينها تفاوت ملحوظ بالزيادة والنقصان وقد بين ذلك وبسط القول فيه الامام رحمة الله الهندى فى كتابه اظهار الحق .

٣ — اضطراب الأخبار والروايات التاريخية المتعلقة بحال الأفراد والأمم مما يدل على ان الفكر البشرى له مجاله فى التدوين لان الوحى لا يعتريه خطأ .

٤ — وجود نصوص لا يمكن للعقل أن يقبلها كالنصوص المتعلقة بذات الله حين تجاوزها حد الاعتدال ووصفه بصفات البشر أو ما هو أقل من ذلك . وكذلك ماورد فى حق الانبياء عليهم السلام ووصفهم بالردة أو الجنون أو شرب الخمر أو الظلم أو ترك الشريعة .. الخ .

٥ — عدم امكانية المطابقة بين الكونيات ونتائج العلم التجريبى — المسلمة — وذلك كالحديث عن خلق الانسان والسماوات والأرض .

٦ — نسبة أخبار وكلام الى أنبياء قد لاقوا ربهم وذلك كتفضيل التوراة لموسى عليه السلام على غيره من الأنبياء الذين أتوا بعده . وحديثها عن فتح الأردن وما شاكل ذلك .

٧ — معارضة نصوص العهد الجديد للعهد القديم رغم النصوص التى صرحت بأن المسيح ما أتى لينقض بل ليكمل . وأن السموات والأرض تزولا ولا يزول حرف واحد حتى يكون الكل .

٨ — رفض بعض الفرق المسيحية لبعض أسفار العهد القديم وكذلك رفض بعضها لبعض أسفار العهد الجديد — وبعض الاصحاحات من بعض الأناجيل .

وهناك اتجاهات ينبغى أن تولى عناية جديدة من الباحثين تقوم على الآتى :

١ — النقد التاريخى للمحتوى

٢ — النقد اللغوى للمادة والأسلوب .

٣ — محاولة الوقوف على أقدم الأصول عن طريق دراسة اللغة الأولى لها حتى نتمكن من كشف الكثير الذى لم يكشف حتى الآن .

ومن هنا نخلص من هذا البحث الى الأمور الآتية :

١ — أن أصول علم مقارنة الأديان اسلامية أتى بها القرآن .

٢ — أن تأصيل هذا العلم تم على أيدى المسلمين لا على أيدى الغربيين .

٣ ــ أن الحديث فى هذا العلم هو التسمية فقط أما التأليف فلن السبق فيه للمسلمين .

٤ ــ أن الاهتمام بهذين الجانبين (نقد السند ــ نقد المتن) هما من العوامل التى لا تدفع والفضل فيها يرجع الى القرآن .

٥ ــ أن دعم هذا العلم مطلوب فان صراع الأفكار أشد من صراع السيف فاذا صبغ صراع الفكر بالصبغة العقدية زادت حدته .

٦ ــ أن كثير من علماء الغرب ــ الموضوعية ــ قد اعتمدوا على هذين الأتجاهين حين نقدهما الكتاب المقدس بالدرجة الأولى . وقد دان ــ من هدى منهم الى الاسلام والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

مراجع البحث

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ الكتاب المقدس .

٣ ــ أحكام أهل الذمة فى الاسلام (ابن القيم)

٤ ــ اظهار الحق . رحمة الله الهندى .

٥ ــ الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ــ القرطبى .

٦ ــ بين الاسلام والمسيحية تحقيق د . شامة .

٧ ــ الروض الأنف للسهيلى .

٨ ــ سيرة بن هشام .

٩ ــ السنن القويم فى تفسير العهد القديم .

١٠ ــ قاموس الكتاب المقدس .

١١ ــ قصة الحضارة . ول ديورانت .

١٢ ــ الكنز الجليل فى تفسير الانجيل د . وليم ادى .

١٣ ــ الملل والنحل للشهرستانى .

١٤ ــ المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل . عبد الرحمن الباجة جه زاده .

١٥ ــ الفارق بين المخلوق والخالق عبد الرحمن الباجة جه زاده

١٦ ــ الفصل فى الملل والنحل لابن حزم .